﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

[لقمان: 27]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لا مُنْتَهى لِكَمالِ صِفاتِ اللهِ تَعالى وأفْعالِهِ

لَمّا ذَكَر اللهُ ﷻ غِناهُ ومَحْمودِيَّتَه في قوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، وكان الغَنيُّ رُبّما قَد يكونُ مالُه محصورًا، والمحمودُ قَد يكونُ ما يُحْمَدُ عليه مَضْبوطًا ومُنْحَصرًا؛ بيَّنَ سبحانَه أنَّه على خلافِ ذَلِكَ، وأنَّه لا حدَّ لغناهُ، ولا مُنْتَهى لِكَمالِ صِفاتِه وأفعالِه الموجِبَة لحَمْدِه والثَّناء عليه، فقالَ تَعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۚ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَقْلَٰمٌ﴾: (قلم) تَدورُ اشْتِقاقاتُه عَلى تسويَةِ شَيْءٍ وتعديلِه عِنْدَ بَرْيِه وإصْلاحِه، ومِنْ ذلك قولُهُم: قَلَمتُ الظُّفُرَ أو قَلَّمْتُهُ، ويُقالُ للرَّجُلِ الضَّعيفِ: مقْلومُ الأظْفارِ، والقُلامَةُ هيَ ما يسقُطُ مِنَ الظُّفر عندَ تَقْليمِه، ومِن هذا المَعْنى أُطلِق اسمُ القلَمِ على الأداةِ التي يُكْتَب بها؛ لأنَّه يُقْلَم كما يُقْلَمُ الظُّفُر[2].

2) ﴿يَمُدُّهُۥ﴾: (مدّ) تدلُّ اشْتِقاقاتُه عَلى جَرِّ شَيْءٍ في طولٍ، واتِّصالِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ في اسْتِطالَةٍ[3]، والمَدُّ: الجَذْبُ والمَطْلُ والإمْهالُ والزِّيادةُ[4]، ومِنْهُ قولُه تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ أي: يزيدُه ويَنْصَبُّ فيه[5].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 196.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قلم).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (مد).
(4) ابن سيده، المُحْكَمُ والمحيط الأعظم: (مدد)، والزَّبيدي، تاج العروس: (مدد).
(5) الواحدي، التفسير البسيط: 18/ 121.

3) ﴿نَفِدَتْ﴾: (نفد) تدُلُّ تَصْريفاتُه على انْقِطاعِ شَيءٍ وفَنائِه، يُقال: نَفِدَ الشَّيْءُ يَنْفَدُ نَفادًا؛ وأنْفَدوا: إذا نَفِدَ زادُهم، أو نَفِدَتْ أموالُهم[1]؛ وخَصْمٌ مُنافِدٌ؛ إذا خاصَمَ ليُنْفِدَ حُجَّةَ صاحبِه، يُقالُ: نافَدْتُهُ فنَفَدْتُهُ[2]؛ واسْتَنْفَدَ وُسْعَهُ، أي: اسْتَفْرَغَه؛ وأنْفَدَتِ الرَّكِيَّةُ: ذَهَبَ ماؤُها[3]؛ والمقصودُ بالنَّفادِ في الآية: الانْتِهاءُ والذَّهابُ[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عَظَمَةُ كَلِماتِ اللهِ تَعالى وامْتِدادُ عِلْمِهِ وحِكْمَتِهِ

ولَو أنَّ أشجارَ الأرْضِ كُلّها بُريت أقلامًا والبَحْرُ مِدادٌ لَها، ويُمَدّ بسبعَةِ أبْحُرٍ أُخرى، وكُتِبتْ بتلك الأقلامِ وذلكَ المدادِ كلماتُ اللهِ سُبحانَهُ مِن عِلْمِه وحِكَمِه، وما أوحاهُ إلى مَلائِكَتِه ورُسُلِه؛ لتَكَسَّرت تلك الأقلامُ، ولنَفِد ذلك المِداد، ولَم تَنْفَدْ كلماتُ اللهِ التّامَّةُ التي لا يُحيطُ بِها أحدٌ، إنَّ اللهَ ﷻ عزيزٌ في انتقامِه مِمَّن أشركَ بِه، حَكيمٌ في تَدْبيرِ خَلْقِه[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مَعْنى الواوِ في قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا﴾:

(الواوُ) في ﴿وَلَوْ﴾ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ استئنافيَّةٌ، والجملةُ بعدَها كلامٌ مستأنَفٌ سيقَ تَنْبيهًا على أنَّ معانيَ كلامِ اللهِ ﷻ لا تَنفَدُ[6].

مَعْنى (لَوْ) في قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا﴾ ودِلالَتُها:

عَدَمُ نَفادِ كَلِماتِ اللهِ تَعالى بِحالٍ مِنَ الأحْوالِ

صُدِّرت هذهِ الآيَةُ بـ (لَو) وهيَ هَهُنا ليستْ حرفَ امْتِناعٍ لامتناعٍ، وإنَّما هي (لَو) المَشْهورَةُ بَيْنَ النَّحويّين بـ (لو) الصُّهَيْبيَّةِ، وذلك

(1) الخليل بن أحمد، العين: (نفد)، وابن فارس، مقاييس اللغة: (نفد).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (نفد)، وابن فارس، مقاييس اللغة: (نفد)، والراغب، المفردات: (نفد).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (نفد).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 182.
(5) نخبة من أساتذة التفسير، التَّفسير الميسّر، ص: 413.
(6) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 556.

لاشْتِهار التَّمثيلِ بها عِنْدَهُم بما يُروى عَن عُمَرَ ﷺ أنَّه قال: "نِعْمَ العبدُ صُهَيْبٌ، لَو لَم يَخَفِ اللّهَ لَم يَعْصِهِ"، والتي تُستعْمَل لإرادَةِ الدّلالَةِ على أنَّ مضمونَ الجَزاء مُسْتَمِرُّ الوُجود في جَميع الأزْمِنَة والأحوالِ عندَ المُتَكَلِّم، فتَأتي جُملةُ الشَّرط مُتَضَمِّنةً الحالَ الّتي هيَ مَظِنَّةُ أن يَخْتَلِف مضمونُ الجَزاء عندَ حُصولِها، فالمَقصودُ مِن قولِ عُمَرَ: انتفاءُ عِصْيانِ صُهَيْبٍ ﷺ في جميعِ الأزمِنَة والأحوالِ، حتّى في حالِ أمْنِه مِن غضبِ اللّهِ تعالى، وليسَ المقصودُ أنَّه لَو خافَ اللّه عَصى، ولكنَّ المُرادَ أنَّه لو فُرِضَ عدَمُ خوفِه لَما عَصى.

وعلى هذا فَيكونُ دُخولُ (لَو) في الآية: عدمَ انتهاءِ كلماتِ اللّهِ سُبْحانَه، حتّى في حالِ ما لَو كُتِبَت بماءِ البَحْر كُلِّه، وجُعِلَت أعوادُ الشَّجر جميعُها أقلامًا، كَما يَدُلُّ دخولُها على أنَّ مضمونَ الجَزاء حاصِلٌ قَطْعًا، سواءٌ فُرِض حصولُ مضمونِ شَرْطِها أو فُرِض انتِفاؤُه[1].

مَعْنى (أنَّ) وبَيانُ اسْمِها وخَبَرِها:

تَرْسيخُ مَضْمونِ الـجُـمْـلَـةِ في أذْهانِ المُخاطَبينَ

(أنَّ) من قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ حرفُ توكيدٍ ونصبٍ، واسْمُها: هو الاسْمُ المَوْصولُ (ما) في (أنَّما)، و(أقْلامٌ) خبرُها، وتأكيدُ الجُمْلَةِ بـ (أنَّ) فيها تَرْسيخٌ لِمَعْنى الجُمْلَةِ في قُلوب المُتَلَقّين، والتَّعبيرُ بالجُمْلَة الاسْميَّة يَزيدُ مَضْمونَ الجُمْلة توكيدًا، والاسمُ الموصولُ دالٌّ على العُموم الشّاملِ لجميعِ ما في الأرضِ من أشجار، وهذا العمومُ مُتناسِقٌ معَ إرادةِ التّمثيلِ، الّذي يتلاءمُ مع الكليّةِ المقصودةِ للحُكم.

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لِـ (أنَّ) واسْمِها وخَبَرِها:

ثُبوتُ مَضْمونِ الـجُـمْـلَـةِ ثُبوتًا قَطْعيًّا

(أنَّ) واسْمُها وخبَرُها من قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ في محلِّ رفعٍ فاعلٌ لفِعْلٍ محذوفٍ، والتَّقديرُ: (لو ثبَتَ

(1) علي، سورة لقمان: دراسة بلاغية: 2/ 412 - 413.

أنَّ الّذي في الأرْضِ ... إلخ)، وفي حَذْفِ الفِعْل تعزيزٌ للمعنى وتركُ فرصةٍ للمُتَلَقّي ليتأمَّل المحذوفَ، ممّا يُضْفي على التَّركيب قوَّةً إيحائيَّة ويُؤَكِّدُ يقينًا ثبوتَ مَضْمونِ الجُمْلَة القُرآنيَّة.

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لِقَوْلِهِ: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾:

تَخْصيصُ المَعْنى بَعْدَ إبْهامِهِ

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مِن قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ صلةٌ لـ (ما) لا محلَّ لها مِنَ الإعراب، وهذا التَّركيبُ يُسْهِمُ في تَخْصيص المَعْنى بَعْدَ إبْهامِه؛ إذِ الاسْمُ المَوْصولُ مُبْهَمٌ يفتقِرُ إلى بَيانٍ، وتدلُّ الظّرفيّةُ على الاتّساع المكانيِّ لذلك العموم المُستفاد مِن (ما)، بحيثُ يشملُ جميعَ ما على الأرض، فلا يختصُّ بأقليمٍ أو مساحةٍ حتّى كأنَّ الأرضَ كلَّها مغطّاةٌ بالأشجار.

مَعْنى (أل) في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾:

اسْتِغْراقُ أفْرادِ الأرْضِ

(أل) في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ مِن قول اللّه تَعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ دالَّةٌ على الاستغراقِ، فتَشْمَلُ جميعَ أفرادِها المُنْدَرِجةِ تحتَها[1]، فتكون الآيَةُ شامِلَةً لجَميعِ ما تَحْتَويهِ الأرْضُ، وفي ذلكَ تَصْويرٌ عظيمٌ يُبْرِزُ سَعَةَ أوصافِ اللّهِ سُبْحانَهُ.

مَعْنى ﴿مِن﴾ في ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾:

البَيانُ بَعْدَ الإبْهامِ

﴿مِن﴾ في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ للبيانِ، وذلكَ لِما في الاسْمِ المَوْصولِ (ما) مِنَ الإبْهام، فجاءَت ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ بمَنْزِلَةِ التَّمْييز[2]، وذكرُ الشّيءِ مُبهَمًا ثمَّ العودةُ إلى بيانِهِ تشويقٌ للسّامعِ وتحقيقٌ لمزيدٍ منَ الإصغاءِ.

الغَرَضُ مِنْ تَنْكيرِ ﴿شَجَرَةٍ﴾ و﴿أَقْلَٰمٌ﴾:

الدّلالَةُ عَلى العُمومِ والشُّمولِ

نُكِّرت لفظتا ﴿شَجَرَةٍ﴾ و﴿أَقْلَٰمٌ﴾ من قول اللّهِ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾؛ لإفادَةِ العُموم والشُّمول، ممّا يَقْتَضي أنَّ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 196.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 182.

كُلَّ شجرَةٍ عَلى وجْهِ الأرضِ مَهْما كان نوعُها لَو تَحَوَّلت إلى أقلامٍ؛ لَما أمْكَنَها تدوينُ كلماتِ اللّه تَعالى كُلِّها وعجائبِ خلقِهِ وعظيمِ حِكمتِهِ.

نُكْتَةُ إفْرادِ ﴿شَجَرَةٍ﴾:

أُفْرِد لفظُ ﴿شَجَرَةٍ﴾ مِن قول اللّه ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ للمبالغةِ في إفادةِ الشّمول؛ لِما تقرَّر مِن أنَّ اسْتِغْراقَ المُفردِ أشمَلُ، أو أنَّ إفرادَ لفظِ ﴿شَجَرَةٍ﴾ لإرادةِ تَفْصيلِ الشَّجر واستقصائِه، فكأنَّه قال: كُلّ شجرَةٍ شجَرةٍ حتّى لا تَبْقى مِن جِنْسِ الشَّجرِ واحدةٌ إلّا وقَد بُريت أقلامًا[1].

اسْتِغْراقُ المُفْرَدِ أشْمَلُ مِنِ اسْتِغْراقِ المُثَنّى والجَمْعِ

مَعْنى الواوِ في قَوْلِهِ: ﴿وَٱلْبَحْرُ﴾:

(الواوُ) في ﴿وَٱلْبَحْرُ﴾ مِن قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ عاطفةٌ (البحرُ) على (أنَّ) وما في حيِّزِها، والتَّقديرُ: (ولَو أنّ البَحْرَ، أو ولَو ثبَتَ البَحْرُ ... إلخ).

أثَرُ الإعْرابِ في تَنْويعِ المَعاني

ويجوزُ أن تكونَ الواوُ للحالِ، و(البَحْرُ) مبتدأً، خبرُه ﴿يَمُدُّهُۥ﴾، والجُمْلَةُ في محلِّ نصبٍ حالٌ، والتَّقديرُ: ولو أنَّ الّذي في الأرضِ مِن شجَرٍ أقلامٌ حالَ كونِ البحرِ مَمْدودًا بِسَبْعَةِ أبْحُرٍ[2].

مَعْنى (أل) في ﴿وَٱلْبَحْرُ﴾:

(أل) في ﴿وَٱلْبَحْرُ﴾ من قول اللّه ﷻ: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ للعَهْدِ العِلْميّ، والمرادُ: المحيطُ؛ لأنَّه المُتبادِر مِنَ التَّعريفِ؛ إذْ هو الفَرْدُ الكامِل[3].

دِلالَةُ ﴿يَمُدُّهُۥ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

جاء التَّعبيرُ بـ ﴿يَمُدُّهُۥ﴾ مِن قولِ اللّه تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ

بَيانُ سَعَةِ كَلِماتِ اللهِ سُبْحانَهُ

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 501، والقِنَّوجي، فتح البيان: 10/ 296.
(2) السمين، الدر المصون: 9/ 68.
(3) القِنّوجيّ، فتح البيان: 10/ 296.

﴿بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾؛ لِما يدُلُّ عليهِ مِنَ الزّيادة والاستِمْرار، وهو أنسَبُ لِبَيان سَعَةِ كَلِماتِ اللّه تَعالى، ولذا عُبِّر بالفِعْلِ المُضارِع ﴿يَمُدُّهُۥ﴾ للدّلالَةِ على الدَّوام والاستِمْرار؛ وأنَّ الزّيادة في الماءِ ليستْ حدَثًا يَحْدُث مرَّةً واحدَةً، بَل هو أمْرٌ مستَمِرٌّ، واختارَ النّظمُ الكريمُ لفظًا دالًّا على المدَدِ والمِداد؛ لأنَّ الأقلامَ إنَّما تكتبُ بالمِداد، أي: إنَّ البحر العظيمَ لو تحوّلَ إلى مدادٍ يُمَدُّ بسبعةِ أبحُر.

فائِدَةُ التَّعْبيرِ بِالظَّرْفِ ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾:

جاءَ التَّعبيرُ بالظَّرف ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من قول اللّهِ سُبْحانَه: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾؛ للدّلالَةِ على الفاصِلِ الزَّمنيّ بينَ الفِعْلَيْن، مِمّا يُعَزِّز الصُّورَةَ الذِّهنيّةَ للزّيادةِ والتَّوسُّع، و﴿مِنۢ﴾ تؤكِّد هذا المَعْنى وتُقَوّيه، وإنَّما استعملَ النّظمُ الكريمُ البَعديّةَ دونَ الورائيَّة؛ لأنَّ البَعديَّة منَ البُعدِ والابتعاد، فتدلُّ على اتّساعِ كلِّ بحرٍ؛ بخلاف الورائيّة التي تدلُّ على عدمِ سِعَةِ تلك الأبحُر، فهي بِحارٌ مُتباعدةٌ وليستْ متقاربةً ممّا يدلُّ على اتّساعِها وعظمتِها وعظيمِ بُعدِها.

تَعْزيزُ الصّورَةِ الذِّهْنيَّةِ لِلزّيادَةِ والتَّوَسُّعِ

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لِقَوْلِهِ: ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾:

﴿سَبْعَةُ﴾ من قول اللّه تَعالى: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ فاعلٌ للفِعْلِ ﴿يَمُدُّهُۥ﴾، وهو مُضافٌ و﴿أَبْحُرٍ﴾ مضافٌ إليه، وهو تمييزٌ لهُ؛ لِما في العَدَد مِنَ الإبهامِ في الذّاتِ.

غَرَضُ التَّعْبيرِ بِالعَدَدِ ﴿سَبْعَةُ﴾:

عُبِّر بالعدَد ﴿سَبْعَةُ﴾ من قول اللّه ﷻ: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾؛ لأنَّه يُسْتَعْمَلُ كنايةً عنِ الكَثْرَة، فلَيْسَ لهَذا العدَدِ مَفْهومٌ في هذا السّياق، والمَعْنى: والبَحْرُ يمُدُّه من بعدِهِ أبحُرٌ كثيرةٌ، وهذا أدَلُّ على كمالِ صِفاتِ اللّه تَعالى وأنَّه لا مُنْتَهى لكَلِماته سُبْحانَه[1].

كَمالُ أوصافِ اللهِ ﷻ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 128، وأبو حيان، البحر المحيط: 8/ 420، وابن عاشور: 21/ 182.

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لجملةِ: ﴿مَّا نَفِدَتْ﴾:

﴿مَّا نَفِدَتْ﴾ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ جوابُ (لَو)، فلَيْسَ لَها مَحَلٌّ مِنَ الإعرابِ، وفي الجوابِ المنفيّ دِلالَةٌ على عظمَةِ صِفاتِ اللهِ تَعالى، وأنَّه لا مُنْتَهى لِكَمالِها.

لا مُنْتَهى لِكَمالِ صِـفـاتِ الـلـهِ تَعالى

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ ﴿نَفِدَتْ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

جاءَ التَّعبيرُ بـ ﴿نَفِدَتْ﴾ في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾؛ لِما تدُلُّ عليهِ هذهِ المادَّةُ مِنَ الانْقِطاعِ والانْتِهاءِ، مِمّا يوحي بكَمالِ صِفاتِ اللهِ سُبْحانَهُ، وأنَّ كلماتِ اللهِ ﷻ مَهْما كُتِبَت واسْتُقْصيَت؛ فإنَّها لَن تَصِلَ إلى النِّهايةِ.

كَمالُ الصِّفاتِ الإلَهيَّةِ أمْرٌ ثابِتٌ مُحَقَّقٌ

وفي التَّعبيرِ بالفِعْلِ الماضي ﴿نَفِدَتْ﴾ دِلالَةٌ على مَعْنى التَّحقُّقِ والتَّأكيدِ، مِمّا يُرَسِّخُ في ذِهْنِ المُتَلَقّي بأنَّ هذهِ الحقيقةَ ثابتَةٌ لا تَقْبَلُ الشَّكَّ.

دِلالَةُ إضافَةِ الكَلِماتِ إلى الاسْمِ الأحْسَنِ ﴿ٱللَّهِ﴾:

أُضيفَ لَفْظُ ﴿كَلِمَٰتُ﴾ إلى الاسْمِ الأحْسَنِ ﴿ٱللَّهِ﴾ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ تعظيمًا لها وتفخيمًا[1]، ولذا أوثِرَ التَّعبيرُ بـ ﴿كَلِمَٰتُ﴾ وهيَ جمعُ قلَّةٍ دون (كَلِم) وهو جمعُ كثرةٍ؛ للدّلالةِ عَلى العَجْزِ عن ذلكَ القليلِ، فيُفْهَم منهُ العجزُ عنِ الكَلِمِ مِن بابٍ أولى وأحْرى[2]، ولا يبعدُ أنْ يكونَ المرادُ بكلماتِ اللهِ تعالى علمَهُ ومَعلوماتِهِ؛ إذِ الكلماتُ تدلُّ على العلْمِ وتَستلزِمُهُ، فيكون هنالك مجازٌ مرسَلٌ علاقتُهُ الدّالّيَّةُ والمدلوليَّة؛ وسعةُ المعلومات تدلُّ

الـعَـجْـزُ عَـنْ إدْراكِ الـقَـليلِ عَجْزٌ عَنْ إدْراكِ الكَثيرِ مِنْ بابٍ أولى

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 197.
(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 501.

على الإحاطةِ والقوّة معَ الإتقانِ في الخلقِ، فيتناسبُ مع ذيلِ الآية المختومةِ بالاسمينِ الكريمين: (العزيز الحكيم).

نُكْتَةُ فَصْلِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾:

تَعْليلُ عَدَمِ نَفادِ كَلِماتِ اللهِ تَعالى

فُصِل قولُ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لِما بينَهُما من شِبْهِ كمالِ الاتِّصال، فهو جوابٌ عَن سُؤال يُفْهَمُ مِنَ الجُمْلَةِ قبلَهُ، فكأنَّ سائلًا سألَ عَن عِلَّةِ عدَم نَفادِ كلماتِ اللهِ ﷻ، فجاء الجوابُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، فالجُمْلَةُ تعليلٌ لعَدَمِ نفادِ كَلماتِهِ سُبْحانَهُ[2].

دِلالَةُ التَّوْكيدِ في جُمْلَةِ التَّذْييل:

ثُبوتُ أوصافِ اللهِ تَعالى ودَوامُها

ذُيِّلتِ الآيةُ الكريمَةُ بقولِ اللهِ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وصُدِّرت بالتَّوكيدِ بـ ﴿إِنَّ﴾؛ لأنَّ اللهَ سُبْحانه لَمّا ذكَرَ عدمَ نفادِ كَلماتِه حتّى مع فَرْضِ أنَّ أشجارَ الأرضِ كُلَّها جُعِلَت أقلامًا، والبحرُ يُمَدُّ بأبحُرٍ عديدةٍ؛ أثارَ ذلك في نَفْسِ المُتَلَقّي استشرافًا وتَطَلُّعًا لمعرفَةِ السَّبب في ذلكَ، فجاءَ التَّأكيد في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3]، وعُبِّر بالجُمْلَةِ الاسميَّة لإفادَةِ ثُبوتِ مَضْمونِ الجُملة ودوامِ اتِّصاف اللهِ تَعالى بصِفَتَي العِزَّة والحِكْمَة.

نُكْتَةُ تَذْييلِ الآيَةِ بِاسْمَيِ: (العَزيزِ والحَكيمِ):

كَمالُ عِزَّةِ اللهِ سُبْحانَهُ وحِكْمَتِهِ

ذُيِّل قولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ باسْمَيْن كَريمَيْن وهُما: (العزيزُ والحَكيم)؛ لِمُلاءَمَتِهما مضمونَ الجُملة قَبْلَهُما؛ فهو عزيزٌ كاملُ القوَّة والقُدْرَة، فَمَقْدوراتُه لا نِهايةَ لَها، وهو حكيمٌ كاملُ الحِكْمَة والعِلْم، فتَحَقَّق أنَّ البحرَ لَو كانَ مِدادًا لَما نَفِدَ ما في عِلْمِه وقُدْرَتِه[4].

(1) علي، سورة لقمان: دراسة بلاغية: 2/ 415.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 99.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 99.
(4) علي، سورة لقمان: دراسة بلاغية: 2/ 414.

نُكْتَةُ تَقْديمِ (العَزيزِ) عَلى (الحَكيمِ):

الإتْقانُ والإحْكامُ ناشِئانِ عَنِ العِلْمِ

قُدِّم اسْمُ اللّهِ تَعالى (العَزيز) عَلى اسمِه (الحكيم) في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؛ من بابِ تَقْديمِ السَّبَبِ عَلى المُسَبَّب، وذلكَ لأنَّه سبحانه عزَّ فحكمَ، وهو كَتَقْديمِ العَليمِ عَلى الحَكيمِ؛ لأنَّ الإحْكامَ والإتْقانَ ناشِئانِ عَنِ العِلْمِ[1].

نُكْتَةُ المُبالَغَةِ في الاسْمَيْنِ الجَليلَيْنِ:

اللهُ ﷻ شَديدُ العِـزَّةِ عَظيمُ الحِكْمَةِ

في بِناءِ اسْمَيِ اللّهِ تَعالى (العَزيز والحَكيم) مِنْ قولِ اللّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ علَى أمثلَةِ المبالغَةِ دِلالَةٌ على شدَّةِ العزَّة وعظيمِ الحِكْمَة؛ إذِ العِزَّةُ والحِكْمَةُ مِن أوصافِ اللّهِ تَعالى، وأوصافُه سُبْحانَهُ لا مُنْتَهى لِكَمالِها.

(1) إبراهيم الأبياري، الموسوعة القرآنية: 2/ 183.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»